من ملامح الاتّجاه الدّينيّ والخلقيّ في النّقد التّطبيقيّ للشّعر

أ. د. وليد إبراهيم قصّاب *

مدخـــل

وقفنا في بحث سابق على الاتجاه الديني والخلقي في النقـد التطبيقي عند العرب، وقد رصدنا هذا الاتجاه في نقد الشعر في جانبين اثنين هما:

* استحسان المعاني الدينية والخلقية.
* استقباح المعاني المخالفة للدين والأخلاق.

وقد سقنا غيضاً من فيض من النماذج الشعـريـة التي مثّلت هـذين الجانبين، لنبرز اتجاهاً هاماً من اتجاهات النقد الأدبي عنـد العـرب، وهـو الاتجاه الديني والخلقي.. وهو اتجـاه في الـدرس ينـازع قـوم من النقـاد المحدثين في وجوده، أو يحاولون تغييبه، أو ادعاء ضؤولته، وهوان شأنه.

ويسلك هذا البحث المنحى ذاته، فيتوفّر على درس جانبين آخرين من جوانب النقد العربي التطبيقي للشعر، يمثلان هذا الاتجاه الديني والخلقي الذي نتحدث عنه، وهذان الجانبان هما:

١ـ رواية الشعر

٢ـ الموقف من شعـراء عُرفـوا ببعض التجـاوز الـديني أو الخلقي. وسيضع البحث اليد على المعايير التي انطلقت منها طـائفـة غير قليلـة من النقاد العـرب، وهي تتحـرّج من روايـة بعض الشعـر المخـالف للـدين أو

---

* أستاذ الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـ دبي.

الأخلاق، أو وهي تُوقف على نماذج لبعض الشعراء الذين عُرفوا ـ أكثر من غيرهم ـ بلون من التجوز في القول، أو التسمّح في التعبير، أو الاجتراء على بعض القيم العقدية، أو المباهرة بما يمثل اعتداء على أخلاق المجتمع، ويخدش الحياء فيه.

١ ـ رواية الشعر

مثّل الموقف من رواية الشعر جانباً آخر من جوانب الاتجاه الديني والخلقي في نقد الشعر، إذ بسبب النزوع عن هذا المنزع تحرّجت طائفة من النقاد العرب من رواية أي شعر تُشتم منه رائحة استهتار عقدي، أو استبهار بالفاحشة، أو كسر للقيم والأعراف الخلقية والاجتماعية. وكان هذا وجها آخر من وجوه النقد التطبيقي الذي يمثل هذا الاتجاه.

وممّن حمله التورع الديني على ترك رواية أضراب من الشعر **الأصمعي**، وهو ممن قد تبدو آراؤه النظرية مباينة للوهلة الأولى آراءه التطبيقية؛ فقد أُثر عن هذا الناقد قوله الذائع الشائع: «طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير: من مراثي النبي ﷺ ـ وحمزة وجعفر ـ رضوان الله عليهما، وغيرهم، لان شعره، وطريق الشعر هو طريق الفحول: مثل امرىء القيس، وزهير، والنابغة، من صفات الديار، والرحل، والهجاء، والمديح.. فإذا أدخلته في باب الخير لان(١).

وهو قول ـ وإن كان في رأينا أقرب إلى توصيف حالة الشعر في زمانه منه إلى تقرير قاعدةنظرية ـ فهمه قوم على أنه يعكس إحساساً شخصياً بأن الأغراض الدنيوية هي التي تصلح لهذا الفن، وبأن دخوله في أغراض دينية، أو أغراض ذات طبيعة خلقية خيرة تليّنه..

ولكن الأصمعي في موقفه من رواية الشعر يخالف عن هذا الفهم،

---

(١) الموشح: ٨٥ ، ٩٠ .

وهو يصدر فيه عن نزعة دينية واضحة.

قال المبرد: كان الأصمعي «لا ينشـد، ولا يفسر مـا كـان فيـه ذكـر الأنواء، لقول النبي ﷺ «إذا ذكرت النجوم فأمسكوا».. وكان لا يفسر، ولا ينشد شعراً فيه هجـاء، وكـان لا يفسر شعـراً يـوافق تفسيره شيئـاً من القرآن. هكذا يقول أصحابه، وسئل عن قول الشماخ:

طوى ظمأها في بيضة القيظ بعدما جرى في عنان الشعريينِ الأماعز

فأَبى أن يفسر في عنان الشعريين(١).

وسئل عن قول ذي الرّمة في وصف روضة:

قرحاءُ حواءُ أشراطية وكفت فيها الذهاب، وحفَّتها البراعيم

فأبى أن يفسر معنى «الأشراطية»(٢).

ونزع **المرزباني** أحياناً هذا المنزع الديني، فقـد أورد بعض مـا عيب على أبي نواس من قصيدتـه التي يمـدح فيهـا العبـاس بن الفضـل، ممـا «يستمحله الأحداث، ويألفه المجان، وليس بذاك، وهو قوله:

نديـم كأس، محـِّدث ملـك تيـه مغـنٍ وظرف زنديـق

فهذا قول ملحون، مرذول، رديء الوصف بعيده، وأما قوله:

كأنمـا رجلها قفـا يدهـا

فهذا كلام خسيس وكذلك قوله: ... ثم أوضح المرزباني أنه أعرض عن ذكر سائرها، فقال: «وفي آخرها ما جمع بين كفر ولحن، وأكـره حكـايتـه لضعفه وبطلانه(٣).

والتزم **الحصري القيرواني** مثل هذا المعيار الديني في اختيار الشعر فقال في مقدمة كتابه «جمع الجواهر»:

---

(١) الكامل: ٣/٣٧

(٢) الكامَل: ٣/٣٦، والقرحاء: الأنواء، وحواء: تضرب إلى السـواد لشـدة ريهـا وخضرتهـا، أشراطية: مطرت بنوء الشرطين، والشرطان من الحمل قرناه.

(٣) الموشح: ٤١٥ .

«تجنبت أن أهدي إليك، وأورد عليك، ما يخرج به قائله في الدين عن اتباع سبيل المؤمنين، فمن أهل الإلحاد والأهواء من يسر حَسْوًا في ارتغاء، ويطلب ما يشفى به من دائه، ويضحك خاصة أودائه، ويغرّ به من ضعفت نحيزته، وهفت غريزته، بما يكمنه ـ بألطف ما يمكنه ـ كمون الأفعوان، في أصول الريحان، إذا قابله بشمه، قتله بسمّه.. فقد قيل: الراوية أحد الشاتمين، كما قيل: السامع أحد القائلين(١)..

وهو لا يرضى عن رأي ينسبه إلى ابن قتيبة من أن القول منسوب إلى قائله، وتقع عليه وحده مسؤوليته، ويرى أن الناقد الذي يروي أشعاراً تتنكب جادة الدين يحمل شيئاً من وزر ذلك.

يقول الحصري: «وقد رام ابن قتيبة تسهيل السبيل في مثل هذا، فقال: مهما مرّ بك من كلام تنفر عنه نفسك، فلا تعرض عنه بوجهك، فالقول منسوب إلى قائله، والفعل عائد إلى فاعله.

قلت: وليت شعري! ما اللذة فيما يضحك منه من هو معرض عنه، إلا أن يدخل في حد المستهزئين، وحيز المتلاعبين؟ نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر(٢).

وجرى الحصري على هذا التوجه الديني والخلقي في كتابه «زهر الآداب» فأعرض عن ذكر المجون وروايته، وقد ساء ذلك الدكتور زكي المبارك ـ محقق الكتاب ـ لأن المؤلف جرى على إغفال المجون، فقال عن راشد بن أرشد مثلاً: «وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره. وصنت الكتاب عن ذكره» وأوضح المبارك أنه أنكر على الحصري هذا الصنيع في كتابه «مدامع العشاق» وبيّن أن حرص الرجل على الأخلاق ضيّع علينا ما أعرض عن ذكره من الآثار الأدبية، وكنا في حاجة إلى أن نعرف كلّ ما

---

(١) جمع الجواهر: ٤ ، ويسر حسواً في ارتغاء، أي يخفي السم في الدسم.

(٢) المرجع السابق: ٥

ترك الأولون(١).

ولسنا معنيين الآن بمناقشة الدكتور المبارك فيما ذهب إليه من رأي، وحسبنا أن حرص القيرواني على الأخلاق حمله على إسقاط ما سفُه من القول، صادراً بذلك عن منزع ديني في رواية الشعر وتقديره.

ومثّل **ابن بسام** كذلك هذا الاتجاه الديني والخلقي في نقد الشعر، فأعرض عن رواية ضروب منه، ونزه كتابه عن أن يكون ميداناً لفاحش القول، أو سفساف الشعر، وعلل ذلك تعليلاً خلقياً، فقال:

«لما صنت كتابي هذا عن شين الهجاء، وأكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء، أجريت هاهنا طرفاً من مليح التعريض في إيجاز القريض، مما لا أدب على قائليه، ولا وصمة أعظم على من قيل فيه. والهجاء ينقسم قسمين: قسم يسمونه هجو الأشراف، وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً مقذعاً، ولا هجواً مستبشعاً، وهو طأطأ قديماً من الأوائل، وثلّ عرش القبائل، إنما هو توبيخ وتعيير، وتقديم وتأخير، كقول النجاشي في بني العجلان.. والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير وطبقته، وكان يقول: إذا هجوتم فأضحكوا.. وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتاً، ولا عُيرت به قبيلة، وهو الذي صنّا هذا المجموع عنه، وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه(٢).

وأخذ ابن بسام على الثعالبي روايته لمثل هذا الشعر الذي لا خير فيه، فقال: «إن أبا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمته ما شانه وسمه، وبقي عليه إثمه(٣).

---

(١) زهر الآداب : ١٤

(٢) الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول: ٥٤٥ ـ ٥٤٦

(٣) السابق نفسه.

وأفصح ابن بسام في غير موضع عن هذا التوجه الديني والخلقي في نقد الشعر، فذكر مثلاً في موطن كلامه على ولادة ـ صاحبة ابن زيدون ـ أنه أعرض عن ذكر شعرها وروايته، بسبب سفهه. قال: «أضربت عن ذكره، وطويته بأسره، لأن أكثره هجاء، وليس له عندي إعادة ولا إبداء، ولا من كتابي في أرض ولا سماء (١).

وأفصح **أبوهلال العسكري** عن إحساس بالحرج الديني وهو يروي بعضاً مما سماه «كلام الملحدين لعنهم الله» فاعتذر عن ذلك، وأبان الحكمة من روايته بقوله: «وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله، ولأن تسمية الكتاب توجبه(٢).

ونزع **البلوي** ـ صاحب كتاب الألف باء ـ مثل هذا المنزع الديني في رواية الشعر. قال: «كلفني بعض الأصحاب نسخ جزء فانتسخته، حتى انتهيت منه إلى أبواب فيه تتضمن مدح الخمر وأوصافها وتحسينها وشاربيها، فتركت مواضعها من الكتاب بياضاً، وتعديتها إلى غيرها، وبعثت أعتذر إليه من صنيعي(٣).

ونجد هذا التوجه الديني الخلقي عند صاحب **مجموعة المعاني**، فقد نصّ في مقدمة كتابه أنه أخلاه من فاحش الشعر ووحشيه، قال: «اجتهدت في تخيّرها من فصيح الشعر وقويه، الخالي من فحش مستهجن الشعر ووحشيه(٤).

وقد يكون **ابن الانباري** من أبرز النقاد في هذا الجانب، فقد وقف في وجه الشعر الماجن العابث، وحذّر من روايته، وكشف عن خطره على

---

(١) السابق، القسم الأول، المجلد الأول: ٤٣٢.

(٢) ديوان المعاني: ٢/٢٥١

(٣) ألف باء: ١/٥٥

(٤) مجموعة المعاني: ١٧

الأخلاق والمجتمع، ونزّه ذوي الأقدار من العلماء عن إذاعته والترويج لـه، وحمل على ابن المعتز حملة شعواء لأنه اهتم بهـذا المـاجن الخليـع، وروى شعره. جاء في جمع الجواهر: كتب ابن الانباري إلى أبي العباس عبـد اللـه ابن المعتز:

«حقّ شعر هذا الخليع ـ يعني الحسن بن هانىء ـ ألا يتلقاه النـاس بألسنتهم، ولا يدونونه في كتبهم، ولا يحمله متقدمهم إلى متـأخـرهم، لأن ذوي الأقدار والأسنان يجلون عن روايته، والأحداث يغشون بحفظـه، ولا ينشد في المساجد، ولا يتحمل بذكره في المشاهد، فإن صنع فيه غنـاء كـان أعظم لبليته، لأنه إنما يظهر في غلبة سلطان الهوى، فيهيج الدواعي الدنيئة، ويقوي الخـواطـر الـرديئـة.. والحسن بن هـانىء، ومن سلك سبيلـه من الشعر الذي ذكـرنـاه شطّار، كشفـوا للنـاس عـوارهم، وهتكـوا عنـدهم أسرارهم، وأبدوا لهم مساويهم ومخازيهم، وحسّنوا ركوب القبـائح، فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم، وعلى كـل متصـور أن يستقبـح مـا استحسنوه، ويتنزه من فعله وحكايته(١).

وهكذا يكشف ابن الأنباري عن اتجاه ديني واضح في نقـد الشعـر. وتخيره وروايته، ويشتد في نقد ابن المعتز لترخصه في رواية ما فحُش من شعر أبي نواس وأمثاله.

وعلى أن **ابن المعتز** هذا الذي بدا يمثل موقفاً أكثر تحرراً في النظر إلى العلاقة بين الشعر والدين، فروى في كتابه ـ طبقـات الشعـراء المحـدثين ـ غير قليل من الشعر المـاجن، ودافـع عن أبي نـواس وعن نفسـه نقـد ابن الأنباري، ورفض ربط جودة الشعر بسمو معانيه وأفكاره، إن ابن المعتـز هذا يتحرّج أحياناً من رواية أنماط من الشعر، وتنكسر حماسته التنظيرية

---

(١) جمع الجواهر: ٤٠ ـ ٤١ .

أمام قول شديد المصادمة للعقيدة، أو الأخلاق، أو الذوق.

واستمع إليه يتحدث عن قصيدة لمحمد بن الدورقي هجا فيها يحيى ابن عبدالله بن مالك الخزاعي لأنه قد حبسه، وكان مما قاله فيه:

يقـول جليسـاه إذا خَـلَوَا بـه ... تنفّـس يحيى ويحـه أم تغوطـا

يقول ابن المعتز: «وهي طويلة، إلا أنها فاحشة فتركناها(١)..»

والحق أن اتجاه النقد الديني النازع إلى التحـرج من روايـة الشعـر الذي يصادم العقيدة أو الأخلاق ذو بذور قديمـة، إذ نجـد أصـداء لـه في بدايات النقد العربي قبل أن تتلقفه أيدي النقدة المتمرسين.

روي أن عبدالملك بن عبدالعزيز لما أنشده أبو السائب قـول قيس بن ذريح.

نباح كلب بأعلى الواد من سرفٍ ... أشهى إلى النفس من تأذين أيـوب

قال له: من قال هذا الشعر؟ قال: قيس بن ذريح. قـال: من أيـوب؟ قال: النبي ﷺ. قال: والله لا يحل لك أن تروي هذا. هذا كفر(٢).

ومن هذا النقد الديني النازع إلى الكف عن رواية ما صـادم العقيـدة أو قيم المجتمع الفاضلة ما ورد في الموشح:

ساق المرزباني بعض ما عيب على أبي نـواس من الشعـر العـابث الماجن. وعلى الرغم من أنه في موقف الإزراء على صاحبه، وتنقصه على ما قال؛ أورد قول أبي نواس في غلام نصراني.

فلولا دخول النار بعد بصيرة ... عبدت مكان... عيسى بن مريما

---

(١) طبقات الشعراء المحدثين: ٣٣٧ .
(٢) الموشح: ٣٢٣ .

وترك فراغاً مكان الكلمة، وقد ذكر المحقق أنه بياض في الأصل، وفوقه: «عز وجل».

بل إن التورع الديني ليحمل أحياناً بعض النقاد على تغيير رواية ما يرونه ضرباً من الغلو والتجاوز العقدي. وقد فعل ذلك ـ كما ذكر الدكتور إحسان عباس ـ **ابن منظور**، الذي هذّب كتاب «سرور النفس بمدارك الحواس الخمس» للتيفاشي، إذ «أدركه التحرج إزاء بعض الغلو في بعض الأشعار، فغيّر الرواية. فمن ذلك قول الخوارزمي:

ناقضت ما قال المؤذ ن بالفعال وبالكلام

هو قال: حيّ على الصلا ة، وقلت: حيّ على المدام

فغير الأول فجعله:

قال المؤذن ما أرا د وقلت من حسن الكلام

وهكذا عكست طائفة من النقاد موقفاً دينياً خلقياً في نقد الشعر، وقد تمثّل هذا الموقف ـ في جملة ما تمثل به ـ في التحرج من رواية بعض النماذج التي استشعر الناقد أنها تحمل شيئاً من التجاوز العقدي، أو الترخص في القول، بل إن بعضهم مضى إلى ما هو أبعد من ذلك، فأعطى نفسه ـ من منطلق هذا التوجه ـ الحق في تغيير رواية بعض الشعر، وتسديد ما يرى فيه من بعض التجاوز والترخص.

٢ ـ الموقف النقدي من شعراء الترخّص

عُرفت طائفة من الشعراء ببعض التجاوز واللغو اللذين عدّا انتهاكاً لقيم دينية أو خلقية. وقد هاجم النقاد ما صدر عن هؤلاء من هذا القبيل، واستهجنوه، وأطلقوا ـ في أحيان غير قليلة ـ عبارات نقدية قاسية تنم على الاستياء منه ومن قائله.

وإن مما يجدر التنويه به في هذا المقام أن أي ناقد ـ وإن كان ممن يلتزمون الفصل بين الشعر والدين، أو الشعر والأخلاق، أو ممن يرون أن كفر الشاعر، أو تجاوزه للقيم الدينية لا ينتقصان من مكانته الفنية ـ لا يرضى ـ في مجال النقد التطبيقي ـ عن نماذج من هذا القبيل، أو يبدي استحساناً لها مهما كانت قيمتها الفنية والجمالية. ولم نعرف ناقداً واحداً في تراثنا احتفى بشعر يمثل زندقة، أو كفراً، أو تجاوزاً لقيم العقيدة، أو انتهاكاً صارخاً لأخلاق المجتمع، أو عدّ مثل هذه النماذج من القول نماذج رفيعة عظيمة ينبغي أن تحتذى، على نحو ما نجد عند بعض نقاد الحداثة في هذه الأيام، حتى قال قائلهم(١):

«هنالك شعر أعده شعراً عظيماً سماه بعض النقاد للسخرية والتنقيص من قيمته شعر التهتك والخلاعة والمجون، كشعر ابن الحجاج، وابن سكرة، إنه من أهم الشعر الذي كُتب في اللغة العربية، ومع ذلك فهو مكبوت مقموع كلياً، هؤلاء الشعراء كانوا يحاولون أن يخلقوا ما يمكن أن نسميه بالجنة الأرضية..»

وسنعرض لطائفة من الشعراء القدماء والمولدين الذين شكلت بعض أشعارهم ضرباً من التجاوز العقدي أو الخلقي، وسنرى كيف جابهت طائفة من النقاد هذه النماذج، فاستهجنتها، وثَلَبَت قائليها..

---

(١) أودنيس، انظر في قضايا الشعر العربي المعاصر: ١٥٩

فمن شعراء الجاهلية الذين وُصفوا بالتعهر والمجـون **امرؤ القيس.** وعلى تقدمه الفني عند النقاد، وكونه أشعر ثلاثة أو أربعة من الجـاهليين، إن لم يكن أشعرهم جميعاً، أُنكر عليه مجونه، وعُـدّ من عيوبه وسقطاته.

قال المرزباني: «وعيب أيضاً على امـرئ القيس فجـوره وعهـره في شعره، كقوله:

ومثلك حبلى قد طرقت...

إذا مـــــا بــــكى....

وقالوا: هذا معنى فاحش...»(١)

وكان ابن سلام من قبل قد قسم الشعراء الجـاهليين ـ على أســاس ديني خلقي ـ إلى فريقين: فريق «يتأله في جاهليته، ويتعفف في شعره، ولا يستبهـر بـالفـواحش، ولا يتهكم في الهجـاء» وفـريق «ينعى على نفســـه، ويتعهر. منهم امرؤ القيس، قال:

ومثلك حبلى..

وقـال:

دخلت وقد ألقت...

وقـال:

سموت إليها...

ومنهم الأعشى. قال:

فظللت أرعاها...

وقـال:

وأقررت عيني من الغانيات...

---

(١) الموشح: ٤٥

وقــال:

وقد أخرج الكاعب...(١)

وقد نقد كثيرون عهر امرىء القيس وتفحشه في شعره، ولم يسيغوا هذا الضرب من القول المجافي للأخلاق والذوق.

وكان الباقلاني من أقسى النقاد عليه. أطال السخرية منــه، والإزراء عليه، وراح يتعقب ما ورد في المعلقة من معان فـاحشــة، فينقـدهـا بعنف، ويهزأ من قائلها. قال في نقد بيته:

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له...

«البيت في غاية الفحش، ونهايـة من السخف.. وأي فـائدة في ذكـره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح، ويذهب هذه المـذاهب، ويـرد هـذه الموارد؟ إن هذا ليبغّضه إلى كل من سمع كلامه، ويوجب له المقت. وهـو ـ لو صدق ـ لكان قبيحاً، فكيف ويجوز أن يكون كاذباً؟...(٢).

ونقد قوله:

فقلت لها: سيري وأرخي زمامه   ولا تبعديني عن جناك المعلل

فمثلك حبلى...

فقال: «البيت الثاني في الاعتذار والاستهتـار والتهيـام، وغير منتظم مع المعنى الذي قدمه في البيت الأول، لأن تقديـره: لا تبعـديني عن نفسك، فإني أغلب النساء وأخدعهن عن رأيهن، وأفسدهن بالتغزل. وكونه مفسدة لهن لا يـوجب لـه وصلهن، وتـرك إبعـادهن إيـاه، بـل يـوجب هجـــره، والاستخفاف به، لسخفه، ودخوله كل مدخل فاحش، وركوبه كـل مـركب

(١) طبقات فحول الشعراء: ٤١ ـ ٤٣

(٢) إعجاز القرآن: ١٦٧

فاسد، وفيه من الفحش والتفحّش ما يستنكف الكريم من مثله، ويأنف من ذكره(١)...»

ودعا العلوي الشاعر إلى اجتناب السفه، والتعالن بالفاحشة، ومثّل لذلك بامرىء القيس» فقال: «ينبغي للشاعر أن يتعفف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء، فإن العلماء ذموا من اعتمد ذلك، ومن كان يتعهر ولا يتستر، مثل امرىء القيس في قوله:

ومثلك حبلى...»(٢)

وفي العصر الإسلامي تشبّه **الفرزدق** ـ في بعض شعره ـ بامرىء القيس في التفحّش والاستبهار بالقبائح. وعلى تقدمه الفني كذلك عند النقاد، وعدّه في الطبقة الأولى من الإسلاميين، لم يُرض عن مجونه، ولم يُتَلق عند أحد بالقبول، بل كان موطن انتقاص ونقد، وعرّضه للمساءلة، وأوشك ولي الأمر أن يقيم عليه الحد.

. ذُكر أن الفرزدق أنشد أبياتاً عند سليمان بن عبدالملك، وكان منها قوله في النساء العذارى ـ وهي من فاحش شعره ـ :

فبتن كأنهن مصرعات...

فقاله له سليمان: قد وجب عليك الحد، ولم يدرأ عنه الحد إلا احتجاجه بأن ما قاله من قبيل تسمّح الشعراء في القول، وغلوهم فيه، على نحو ما وصفهم الله تعالى: ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾(٣).

---

(١) إعجاز القرآن: ١٦٧، وانظر نماذج من نقد الباقلاني لفاحش شعر امرىء القيس في الصفحات: ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩

(٢) نضرة الإغريض: ٣٩٤

(٣) الكشاف: ٣/٢٧، وانظر عيون الأخبار: ٢/٢٧

وجعل ابن سلام الفرزدق ـ فيما مجن فيه واستبهر بـالفـواحش ـ على مذهب امرىء القيس، فقـال بعـد أن تحـدّث عن عهـر الملك الضلّيـل: «وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام في هذا الفن. قال:

همـــا دلتـــاني مـــن ثمانـــين قامـــة...

قالها وهو بالمدينة، فأنكرت ذلك قريش، وأزعجه مروان بن الحكم ـ وهو وال على المدينة ـ فأجله ثلاثاً، ثم أخرجه منها...»

وبعد أن أورد ابن سلام أبياتاً من قصيدة الفـرزدق السـابقـة التي أفحش فيها، قارن بينه وبين جرير، فقال: «وكان جرير ـ مـع إفـراطـه في الهجاء ـ يعف عن ذكر النساء. كان لا يشبب إلا بامرأة يملكها...»(١).

وأورد المرزباني ـ وهي يعدّد مآخذ العلماء على الشعراء ـ كلام ابن سلام على الفرزدق، وأنه يترسّم في هـذا الفن من القـول مـراسم امـرىء القيس(٢).

وتعرّض شعر **عمر بن أبي ربيعـة** الذي يذكر فيه مغامراتـه مـع النســاء، ويشبب بهن غير محتشم ولا متبرقـع، لكثير من النقـد، وأثــار حفيظة أقوام، منهم الخلفاء، والفقهاء، وغيرهم.

روي أن عبدالملك لقي عمر بالمدينة، فقال له: «لا حياك الله يا فاسق. قال عمر: بئست تحية ابن العم لابن عمه على طول الشحط، فقال لـه: يـا فاسق! ذاك لأنك أطول قريش صبوة، وأبطؤها توبة. ألست القائل:

ولولا أن تعنّفـني قريـــش ... مقال الناصح الأدنى الشـفيق

لقـلت إذا التقينـا: قبلـيني ... ولو كنـا عـلى ظهـر الطريـق

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ٤٤ ـ ٤٦

(٢) الموشح: ١٥٥ ـ ١٥٨

اغرب..»(١)

وأنكر عليه سليمان بن عبدالملك عبثه هذا، وأرسل إليه فعنّفه قائلاً: ألست القائل:

وكم من قتيل لا يُباء به دم ... ومن علقٍ رهناً إذا ضمه منى

وكم مالىءٍ عينيه من شيء غيره ... إذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدمى

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ... ولا كليالي الجمع أقتلْنَ ذا هوى

قال: نعم. قال: لا جرم. والله لا تحجّ مع الناس العام، وأخرجه إلى الطائف حتى قضى الناس حجهم...»(٢).

ولقي عمر مرة ليلى بنت الحارث البكرية، فقال لها: عرّجي أسمعك ما قلت فيك، قالت: أو فعلت؟ فأنشدها:... فقالت: آمرك بتقوى الله، وإيثار طاعته، وترك ما أنت فيه...»(٣).

وقالت له مرة: «يا ابن أبي ربيعة! حتى متى لا تزال سادراً تشبِّب بالنساء، وتشيد بذكرهن، أما تخاف الله...»(٤).

وقال ابن جريج الفقيه في الإزراء على شعر عمر: «ما دخل على العواتق في حجالهن شيء أضر عليهم من شعر عمر بن أبي ربيعة...»(٥).

وكان أبو المقوم الأنصاري يقول: «ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة...»(٦).

---

(١) الموشح: ٣١٨
(٢) السابق: ٣١٩
(٣) الأغاني: ١/١٥٦
(٤) السابق: ١/١٥٧
(٥) السابق: ١/٧٤
(٦) السابق: ١/٧٦

وقال هشام بن عروة: «لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة، لا يتورطن في الزنا تورطاً...»(١).

على أن هذه التجاوزات العقدية والخلقية التي كانت يسيرة في الشعر القديم بدأت تكثر في شعر المولدين، بسبب ما نجم في المجتمع من نزغات جديدة: كالزندقة، والشعوبية، والمجون، والغزل بالمذكر، وما عرفه من ازدياد في الترف، والغناء، وتكاثر في الإماء والرقيق، والعنصر الأجنبي الذي حمل كثيراً من الأفكار والقيم والعادات الهجينة..

وأُثر عن طائفة من شعراء العصر العباسي بعض هذه التجاوزات التي تمس الدين أو الأخلاق من قريب أو بعيد، كبشار، وأبي نواس، والمتنبي وغيرهم. وعلى مكانة هؤلاء الشعراء الفنية، وإقرار النقاد لهم بالسبق والتبريز، لم تُقبل تجاوزاتهم، ولم تحظَ بالاستطراف أو الاستملاح، بل كانت موطن نقد كثير، واستجهان شديد.

وحسبنا الوقوف على نماذج يسيرة من شعر هؤلاء، شكّلت اعتداء على القيم الدينية أو الخلقية، وأن نَخْبُرَ رأي النقد فيها، وموقف النقاد منها.

غضب المهدي لما بلغه قول **بشار**:

لا يؤيسنّك من مخبأة ... قول تغلّظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمَحَا

واغتاظ وقال: «يحرض النساء على الفجور، ويسهل السبيل إليه، فقال له خالد بن يزيد بن منصور الحميري: يا أمير المؤمنين، قد فتن النساء بشعره، وأي امرأة لا تصبو إلى مثل قوله:

---

(١) السابق: ١/ ٧٤ .

عجبت فطمة من نعتي لها   وهل يجيد النعتَ مكفوفُ البصر؟

فأمره المهدي ألا يتغزل...»(١).

وقيل إن المهدي ـ وكان غيوراً ـ استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، فغضب، وقال له: أتحض الناس على الفجور، وتقذف المحصنات المخبآت، والله لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً من نسيب لآتينّ على روحك...»(٢).

وكان سوار بن عبدالله الأكبر ومالك بن دينار ينكران على بشار عبثه ومجونه في شعره، ويقولان: «ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة ـ البصرة ـ إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى، ومازالا يعظانه...»(٣).

وقد يكون مجونه وتفحّشه من جملة ما حمل المهدي على قتله(٤)، إذ رأى في هذا الشعر ـ وقد وُعظ صاحبه أكثر من مرة ـ إفساداً لأخلاق الناشئة، واستبهاراً بالفاحشة، مما ينافي الدين والأخلاق.

وأما **أبو نواس** فقد قوبل شعره الفاحش بغضب شديد، وإذا لم ينتهِ بصاحبه إلى المصير البائس الذي انتهى إليه بشار بن برد؛ فقد كاد.

روي أن الرشيد أوشك أن يقتل أبا نواس لقوله:

فإن يكُ باقي سحر فرعون فيكمُ   فإن عصا موسى بكفّ خصيب

وقال له: «يا بن اللخناء، أنت المستخف بعصا موسى نبي الله...»(٥).

---

(١) زهر الآداب: ٤٣٥   (٢) الأغاني: ٣/ ٢٤١

(٣) الأغاني: ٣/ ١٨٢

(٤) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٥ وانظر نماذج أخرى من نقد شعر بشار في الغفران: ٣١٠، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: ١١١ .

(٥) الشعر والشعراء: ٨٠٨، والخصيب: **هو الخصيب بن عبدالحميد، أمير مصر،** وانظر في غضب الرشيد وحبسه أبا نواس، **الموشح**: ٤٢٨.

وقد استهجن ابن قتيبة بعضاً من شعر أبي نواس، وحكم عليه بأنه كفر، أو كالكفر. قال: «ومما كفر فيه أو قارب قوله:

تعلّل بالمنى إذ أنت حي وبعد الموت من لبن وخمر

حياة، ثم موت، ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

وقوله في محمد الأمين:

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خَلْقاً وخُلْقاً كما قُدّ الشراكان

مِثلان لا فرق في المعقول بينهما معناهما واحد والعدة اثنان

وقوله في غلام:

نتيج أنوار سمائية...

وقوله لغلام:

يا أحمد المرتجى في كل نائبة...»(١)

وأورد المرزباني بعض هذه النماذج وغيرها مما أخذه العلماء على أبي نواس، وذكر استقباح النقاد، ونفرتهم منها. ونقل عن بعض العلماء قولهم: «قال أبو نواس شيئاً من الشعر اتهم فيه، لأنه قال قولاً عظيماً لا يتكلم بمثله مسلم، وهو قوله:

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخُلقاً كما قُدّ الشراكان

اثنان لا فضل للمعقول بينهما معناهما واحد والعدة اثنان

ومما أنكر من قوله:

يا أحمد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعصِ جبار السموات

---

(١) الشعر والشعراء: ٨٠٧

لأن هذا أعظم جرأة، وأقبح مجاهرة، وأشد تبغّض إلى العزيز الجبار عز وجل أن يقول: «نعص جبار السموات» فذكر المعصية مع ذكر الجبار - عز اسمه - وأنه إياه عنى بالعصيان..»(١).

ثم قال المرزباني: «قال: وحُدِّثت عن أحمد بن أبي داود أنه ذكر هذا البيت، فتفرغ له، وجعل يقول: لعنه الله، لعنه الله، وأحسن ابن أبي دواد في لعنه إياه على هذا الكلام..»(٢).

وهاجم أبو عبيد البكري أبا نواس في قوله:

باح لساني بمضمر السر   وذاك أني أقول بالدهر

وليس بعد الممات منقلب   وإنما الموت بيضة العقر

وقال في نقده: «هذا شعر دهري زنديق»(٣).

وأفرد مهلهل بن يموت في كتابه «سرقات أبي نواس» باباً سمّاه «الكفريات» عرض فيه نماذج من شططه، وسوء عقيدته، وعدّها من سقطاته وعيوب شعره.

ولو أردنا أن نستقصي مآخذ العلماء على شعر أبي نواس من الناحية الدينية والخلقية، وما تعرّض له من النقد الشديد، والانتقاص اللاذع لامتلأت بذلك صفحات كثيرات، وحسبنا ما وقفنا عليه من بعض النماذج(٤)..

---

(١) الموشح: ٤١٧

(٢) السابق: ٤١٨

(٣) سمط اللآلي: ١/٥٢٣

(٤) انظر نماذج أخرى من النقد الديني والخلقي لشعر أبي نواس، في: الغفران: ٤٣٤، الموشح: ٤٣٠، ٤٤٣، ٤٠٣، ٤١٥

وأما **أبو الطيّب المتنبي** فلعله من أكثر الشعراء الذين تعرضوا للنقد الديني والخلقي بسبب بعض شعره الذي أفرط فيه، وتسمّح في القول، فانطوى على تجاوزات عقدية لم تحظَ عند أحد من النقاد، حتى الذين تعصبوا له، وأفرطوا في تقديمه..

وها هو ذا الجرجاني نفسه ـ أهم من دافع عن أبي الطيب، وأحد الذين فصلوا، في تقويم الشاعر، بين شعره ومعتقده ـ لا يستطيع أن يدافع عما أفرط فيه صاحبه، أو يجد وجهاً مقنعاً في المنافحة عنه، ولا ينجيه من هذه الورطة إلا لجوؤه إلى القياس، فيعجب من ناقد «يغض من شعر المتنبي لوجود أبيات تدل على ضعف العقيدة، وفساد المذهب، كقوله:... ثم يأتي الغاض ليحتمل لأبي نواس قوله...»(١).

وكأن الجرجاني يقول: إن الناقد المنصف إما أن يؤاخذ الشاعرين كليهما على هذا التجاوز والإفراط، وإما ألا يتخذ من سوء المعتقد معياراً في الحكم على شاعرية الشاعر.

وقسا النقاد على أبي الطيب في انتقاصهم من شعره المتجاوز، ولم يحملهم الإقرار بشاعريته الفذة، وعبقريته المتميزة، على الإعجاب بهذا الضرب من القول، أو السكوت عليه.

ومن هؤلاء النقدة الصاحب بن عباد، إذ كان من جملة مآخذه على أبي الطيب خروجه على الذوق والأخلاق في بعض المعاني، على شاكلة قوله:

لو استطعتُ ركبت الناس كلهم ... إلى سعيد بن عبدالله بعرانا

فقال الصاحب مستهجناً: وفي الناس أمه، فهل ينشط لركوبها. وكذلك الممدوح لعل له عصبة لا يحب أن يُركبوا إليه. فهل في الأرض

(١) الوساطة: ٦٢ ـ ٦٤.

أفحش من هذا التسحُّب، وأوضع من هذا التبسُّط؟..»(١)

ثم قال الصاحب: «وكانت الشعراء قبله لا تصف المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يُستبشع ذكره، حتى تخطى هذا الشاعر إلى التصريح الذي لا يهتدي إليه غيره، فقال:

إني على شغفي بما في خمرها　　لأعفّ عما في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من عفافه هذا..»(٢)

ومر بنا قبلُ مأخذ ابن بسام على الثعالبي لتساهله في روايته بعض الأشعار التي لا تنفُق في ميزان الدين أو الأخلاق، ولكن الثعالبي يبدي أحياناً اعتراضه على ما كان من هذا القبيل، ويفصح عن توجه ديني خلقي.

أورد في اليتيمة طائفة من عيوب شعر المتنبي، منها ما سماه «إساءة الأدب بالأدب» فساق نماذج مما أفحش فيه أبو الطيب، أو تباذأ، أو استعمل ما لا يليق من الألفاظ والعبارات، مجافياً الذوق السليم، والحسّ الرفيع، على نحو قوله:

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه　　بدم، وبلّ ببوله الأفخاذا

وقوله:

خفِ الله واستر ذا الجمال ببرقع　　فإن لحْتَ حاضت في الخدور العواتقُ

وقوله:... وقوله:...»(٣).

---

(١) الكشف عن مساوىء المتنبي «ضمن كتاب الابانة» ص ٢٥٠ وانظر اليتيمة: ١/١٥٢.

(٢) الكشف : ٢٥٠ .

(٣) يتيمة الدهر: ١٦٧

كما أورد الثعالبي طائفة من شعر أبي الطيب تمثّل إفراطاً في القول، أو جرأة على العقيدة، أو لا تعكس ـ على أخف تقدير ـ توقيراً وإجلالاً كافيين للدين، على نحو قوله:

يترشفن من فمي رشفات..

وقوله:

ونُصفي الذي يكنى أبا الحسن الهدى ونرضي الذي يُسْمَى الإله ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوي:

وأبهر آيات التهامي أنه أبوكم، وإحدى مالكم من مناقب

وقوله:

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الأفلاك فيه والدنا

وعلق عليه: «وقد أفرط جداً، لأن الذي الأفلاك فيه والدنا، هو علم الله عزّ وجلّ»

وقوله: وقد جاوز حد الإساءة

أيَّ محل أرتقي أيَّ عظيم أتقي
وكلّ ما قد خلق اللـ ـه وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

وعلّق عليه قائلاً: «قبيح بمن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو ـ فيما بينهما ـ بول وعذرة، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة...»(١)

---

(١) السابق: ١٧٠ .

وقد أورد الثعالبي هذه النماذج وغيرها في باب العيوب تحت مسمّى «الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين»

وعلى الرغم من أن الرجل ـ على رأي الجرجاني صاحب الوساطة ـ لا يرى ـ عند التقدير الفني لشاعرية الشاعر ـ دخلاً للديانة في ذلك، وهو لا يدخل المعتقد معياراً من معايير تقديم القائل أو تأخيره، إلا أنه ـ عند التطبيق العملي، ومواجهة نماذج من قبيل ما مرّ ـ لا يملك الثبات على موقفه، إذ لا يستطيع غض الطرف عنها، بل هي عنده مستهجنة مستقبحة، إنها من العيوب التي لا يجوز للشاعر ركوبها لما تفصح عنه من رقة دين، وسوء معتقد.

يقول الثعالبي: «على أن الديانة ليست عاراً على الشعراء، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر. ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً، ونظماً ونثراً. ومن استهان بأمره، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله:..(١).

وأطال ابن وكيع التنّيسي في نقد بعض شعر أبي الطيب نقداً دينياً وخلقياً، وآخذه كثيراً على تجاوزه، وتسمّحه في القول.

أورد قوله:

يترشفن من فمي رشفات..

وعلق عليه: «**هذه ألفاظ فيها قلة ورع**، وامتهان للدين، لا أحب له استعمالها..»(٢).

---

(١) يتيمة الدهر: ١٦٨.

(٢) المنصف: ١٤٦ .

وأورد قوله:

لـم يخـلق الرحمـن مثـل محمـد   أحـداً، وظـنّي أنـه لا يخلـــق

ونقده قائلاً: «فمنـع وجـود مثلـه في المـاضي والمستقبـل، فحكم على الغيب..»(١)

ونقد قوله في المديح:

لو لم تكن من ذا الورى اللذْ منك هُـوْ   عقِمـت بمولـد نسـلها حـواء

قال: «بيت أبي الطيب فيه تجاوز. فـأين بـه عن الأنبيـاء والأشراف والصالحين..»(٢)

ونقد ابن وكيع كذلك أبيات أبي الطيب التي مرت:

أي محـــــل أرتقـــــي   أي عظيـــــم أتقـــــي..

فقال: «هذه أبيات فيها قلة ورع. احتقر ما خلق الله عز وجل، وقـد خلق الأنبياء والملائكة والصالحين، وخلق الجن والملوك والجبـارين، وهـذا يجاوز في العجب الغاية، ويزيد على النهاية، وقد تهاون بما خلق اللـه ومـا لم يخلق، فكأنه لا يستعظم شيئاً مما خلق اللـه، وهـو من خلق اللـه عـز وجل، الذي جميعه عنده كشعرة في مفرقه.

وهذا مما لا أحب إثباته في ديوانه لخـروجـه عن حـدّ الكبر إلى حـدّ الكفر..»(٣)

وقارن ابن وكيع بين قول أبي الطيب:

---

(١) السابق : ١٧١، وأورد ثمة قصة في السخرية منه.

(٢) السابق : ٤٨٧ .

(٣) السابق : ٢٠٣ .

ومـالٍ وهبـتَ بـلا موعـد وقِـرنٍ سـبقتَ إليـه الوعيـدا

وهو يشبه قوله:

يُمضي المنايا دراكا ثم يتبعها ببيض العطايا ولم يُوعِـد ولم يعدِ

وبين قول ابن الرومي الذي خالفهما:

تعطي الجزيل بلا وعـد تقدمه ولا تعاقب إلا بعـد إيعـاد

ففضل ـ من منطلق ديني ـ قـول ابن الـرومي، قـال: «وكـلام ابن الرومي أصح وأرجح، وهو يوافق أدب الله ـ عز وجل ـ في أنـه لا يعـذّب إلا بعد إرسال الرسل والنبيين، كما قال: ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعـد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾(١).

وهكذا أطال ابن وكيع الاتكاء على المعايير الدينية والخلقية وهو ينقد بعض ما أفرط فيه أبو الطيب، أو جاوز القصد..(٢).

واتكأ ابن سيدة كذلك على هذه المعايير، فنقد بعض تجاوزات المتنبي، وآخذه عليها. كقولَه:

طلبنـا رضـاه بـتـرك الـذي رضينا لـه فتركنـا السـجودا

فقال: «أي رضينا أن نسجد له إذ رأيناه، إكباراً له وإيثاراً، إلا أنه لا يريد ذلك، لأن هذا إنما ينبغي لله عز وجـل، فطلبنـا نحن حينئـذ رضـاه بتركنا السجود الذي ترضينا له. فقد مـدح بـدراً هنـا بشيئين: أحـدهمـا جلالة القدر حتى رئي أهلاً للسجود له، والآخر تورع بدر عن هـذا الـذي رضيه المتنبي.

---

(١) المنصف: ٤٧٩.

(٢) انظر أمثلة أخرى في المنصف: ١٢٨، ٣٤٦، ٤٦٧

قبحاً لكلامه، ونهراً في هذا الموضع وأشباهه لنظامه..»(١)

وصدر ابن بسام عن معيار ديني في نقد بعض شعر المتنبي، وانطوى على نفرة واضحة من إدخال الفلسفة إلى الشعر والنثر لما يسوق إليه ذلك من إفراط وغلو قد يصلان إلى الضلال والإلحاد.

أورد قول أبي الطيب:

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمن هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه ... وهذه الأجسام من تربه
يموت راعي الضأن في جهله ... ميتة جالينوس في طبّه
وربما زاد على عمره ... وزاد في الأمن على سربه

الذي أخذه من قول أبي غسان المتطبّب:

حكم كأس المنون أن يتساوى ... في حماها الغبي والألمعيُّ
ويحل البليد تحت ثرى الأر ... ض كما حل تحتها اللوذعيُّ
أصبحا رمّة تزايل عنها ... فضلها الجوهري والعرضي
وتلاشى كيانها الحيواني ... وأودى تقويمها المنطقي

وعلق عليه قائلاً: «وهذا كلام من الإلحاد على غاية الاضمحلال والفساد؛ فليس تساوي الناس في الموت والفناء حجة في عدم البقاء والمراتب في دار الجزاء..»(٢).

وأورد ابن عبدالبر قول المتنبي

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلّةٍ لا يظلم

وقوله:

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالناس، روى رمحَه غير راحم

---

(١) شرح مشكل المتنبي: ١٠٠ .

(٢) الذخيرة: ٢/١/٤٨١ ـ ٤٨٢ .

فضربهما على محك الدين والأخلاق، فما وجدهما يصدران عن شيء من الصفح والمغفرة اَللذين هما من أخلاق الإسلام، فقال مهجّناً:

«هذه الأخلاق أخلاق الفساق، ومن لم يتأدب بأدب القرآن، ولا استنّ بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة.

وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق:

إني وهبت لظالمي ظلمي   وغفرت ذاك له على علمي

ورأيته أسدى إليّ بداً...»(١)

وهجّن ابن القيم الجوزية قول أبي الطيب:

يترشفن من فمي رشفات...

وسماه «العاشق الخبيث» وقال في نقد البيت: صرح الخبيث أن وصله أشهى إليه من رحمة ربه..(٢)

وبعـــد

فقد عرض هذا البحث لوجه آخر من وجوه الاتجاه الديني والخلقي في النقد العربي التطبيقي للشعر، وتلمّسه في:

١ ـ رواية الشعر، فانتهى إلى أن بعض النقاد ـ بسبب التحرج الديني أو الخلقي ـ أحجم عن رواية شعر رأى فيه ضرباً من التجاوز العقدي، أو التساهل الديني، أو الغلو المفرط الذي يتجافى مع الشرع أو الأخلاق، بل زاد بعضهم على ذلك، فحملته النزعة الدينية على تغيير رواية بعض الشعر.

---

(١) بهجة المجالس : ١/٣٦٦ . .

(٢) الداء والدواء : ٧٥ .

٢ ـ الموقف من شعر من عُرفوا ببعض التجاوزات الدينية، أو الخلقية. وقد تبدّى الاتجاه الذي نرصده هاهنا واضحاً جلياً؛ إذ أوضح البحث أن طوائف مختلفة من النقاد لم ترض عن هذه التجاوزات، أو تقرها، أو تسحسنها، أوتر فيها ـ على نحو ما ترى بعض بعض التوجهات النقديمة الحديثة ـ نقاط تميز وائتلاق.

وتباين موقف بعض النقاد بين النظرية والتطبيق، فبدا هذا المنزع الديني والخلقي عند من رأى الشعر نكداً بابه الشر، مجاله دنيوي، يليّنه دخوله في أغراض الخير كالأصمعي مثلاً، وعند من رأى الشعر بمعزل عن الدين، وسوء المعتقد لا ينتقص من قدر الشاعرية، ولا يمنع الناقد من الإقرار بها كالجرجاني والثعالبي. وعند غير هؤلاء.

إن هؤلاء وأولئك ـ بدوا وهم يقفوف على نماذج مما غلا فيها الشعراء، أو تجاوزوا قيم الدين أو الأخلاق ـ منكرين مستهجنين، تصدم هذه النماذج حسهم الديني، فلا تشفع مكانة قائليها أن يغضوا الطرف عنها، أو يتقبلوها، بَلْهَ أن يثنوا عليها أو يستملحوها، وظلت عندهم من عيوب الشاعر وسقطاته، يؤاخذ بها، ويُثلب من أجلها، وقد تؤخره عند طائفة منهم، أو تمنع من الاحتجاج بشعره.

قال أبو عبيدة عن أبي نواس: «لولا تهتكه لفضح جميع الشعراء»(١)

وقال أبو عمرو الشيباني: «لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول»(٢)

وهذا كله يؤكد حضور الاتجاه الديني والخلقي في النقد العربي القديم، وصدور كثير من النقاد عنه في الحكم على العمل الأدبي وتقويمه.

---

(١) ديوان أبي نواس: ١٤ .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٠٢ .

ثَبَت المصادر

١ ـ إعجاز القرآن: الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر: ١٩٦٢م.

٢ ـ الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، دار الكتب المصرية.

٣ ـ ألف باء: البلوي، عالم الكتب، بيروت، من دون تاريخ.

٤ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس: ابن عبدالبر القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

٥ ـ تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة: ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، ط ثانية.

٦ ـ جمع الجواهر: الحصري القيرواني، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة، عيسى البابي الحلبي: ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.

٧ ـ ديوان أبي نواس: تحقيق إيفالد فاغنر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م.

٨ ـ الداء والدواء: ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٩ ـ ديوان المعاني: أبو هلال العسكري، تحقيق المستشرق كرنكو، مكتبة القدس، القاهرة: ١٣٥٢هـ.

١٠ـ الذخيرة: ابن بسام، تحقيق د. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١١ـ رسالة الغفران: أبو العلاء المعري، تحقيق د. عـائشـة عبـدالـرحمن، القاهرة: ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، ط سادسة.

١٢ـ زهر الآداب: الحصري القيرواني، تحقيق علي محمد البجـاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط ـ ثانية

١٣ـ سمط اللآلي: البكـري، تحقيق عبـدالعـزيـز الميمني، مطبعـة التـأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م.

١٤ـ الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر: ١٩٦٦م.

١٥ـ طبقات الشعراء المحدثين: ابن المعتز، تحقيق عبـدالستـار فـراج، دار المعارف، مصر: ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

١٦ـ طبقات فحول الشعراء: ابن سلام، تحقيق محمود شـاكـر، جـامعـة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض.

١٧ـ قضايا الشعر العربي المعاصر، المنظمـة العـربيـة للتربيـة والثقـافـة والعلوم، تونس: ١٩٨٨م.

١٨ـ الكامل: المبرد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، دار نهضة مصر: من غير تاريخ، وطبعة مؤسسـة الـرسـالـة، تحقيق د. محمد الدالي، بيروت.

١٩ـ الكشاف: الزمخشري.

٢٠ـ الكشف عن مساوىء المتنبي: الصاحب بن عباد، ضمن كتاب الإبانة، تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، مصر: ١٩٦١م.

٢١ـ مجموعة المعاني: مؤلف مجهول. دار طلاس، دمشق

٢٢ـ المنصف: ابن وكيع التنّيسي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق: ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٣ـ الموشح: المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة: ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٢٤ـ نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفر بن الفضل العلوي، تحقيق د. نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربية، دمشق: ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٢٥ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه: الجرجاني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٢٦ـ يتيمة الدهر: الثعالبي، بيروت.